قدامى الجـواسيـس

مارس الإنسان التجسس بالفطرة منذ فجر الخليقة . استخدمه فى الاستدلال على أماكن الصيد الوفير ، والثمر الكثير ، والماء الغزير ، والمأوى الأمين ، الذى يحميه من عوادى الطبيعة والوحوش والبشر ، وتختلف شدة ممارسة التجسس بين مجتمع وآخر حسب نوع الأعراف والتقاليد ، والعادات السائدة ، فنراه على سبيل المثال سمة ثابتة عند اليابانيين * ، حتى أن الجار يتجسس على جاره بلا حرج ، فالتجسس جزء من حياتهم العادية داخل وخارج بلادهم . كما أن الشعب اليابانى يؤمن بأن العمل فى مجال المخابرات خدمة نبيلة ، فى حين أن معظم شعوب العالم تعاف هذه المهنة ، التى لا غنى عنها فى الدولة المعاصرة ، حتى تقوم بمسئولياتها . فلا يكفى أن تكون الدولة كاملة الاستعداد للحرب فى وقت السلم ، بل لابد لها من معلومات سريعة كافية لتحمى نفسها ، وتحقق أهدافها فى المعترك الدولى . لقد أصبح جهاز المخابرات هو الضمان الأساسى للاستقلال الوطنى ، كما أن غياب جهاز مخابرات قوى يمنى القوات العسكرية بالفشل فى الحصول على إنذار سريع، كما أن اختراق الجواسيس لصفوف العدو يسهل هزيمته. ولعل هذه الغاية هى التى أوعزت إلى الملك «**تحتمس الثالث**» فرعون مصر بتنظيم أول جهاز منظم للمخابرات عرفه العالم .

******

* **Anaromy Of Spying - Ronald Seth .**

مخابرات الفراعنة

طال حصار جيش تحتمس الثالث لمدينة «**يافا**» ولم تستسلم . عبثا حاول فتح ثغرة فى الأسوار . وخطرت له فكرة إدخال فرقة من جنده إلى المدينة المحاصرة ، يشيعون فيها الفوضى والارتباك ، ويفتحون ما يمكنهم من أبواب لكن كيف يدخلهم؟ .

اهتدى إلى فكرة عجيبة ، شرحها لأحد ضباطه واسمه «**توت**» ، فأعد ٢٠٠ جندى داخل أكياس الدقيق ، وشحنها على ظهر سفينة اتجهت بالجند وقائدهم إلى ميناء «**يافا**» التى تحاصرها الجيوش المصرية ، وهناك تمكنوا من دخول المدينة ، وتسليمها إلى المحاصرين . وبدأ منذ ذلك الوقت تنظيم إدارات المخابرات فى مصر والعالم .

ويذكر المؤرخون أن سجلات قدماء المصريين تشير إلى قيامهم بأعمال عظيمة فى مجال المخابرات ، لكنها تعرضت للضعف فى بعض العهود ، كما حدث فى عهد «**منفتاح**» وإلا لما حدث رحيل اليهود من مصر فى غفلة من فرعون *. وتجدر الإشارة إلى أن «**تحتمس الثالث**» غير فخور بأنه رائد الجاسوسية . فكان يشعر دائما بقدر من الضعة فى التجسس والتلصص ولو على الأعداء ، وكأنه كان يعتبره ترصداً فى الظلام أو طعناً فى الظهر ، ولو كان ضد الأعداء ، مما جعله يسجل بخط هيروغليفى واضح ـ على جدران المعابد والآثار التى تركها ـ كل أعماله ، من بناء المدن ، ومخازن الغلال للشعب ، وحروبه ، أما إنشاء المخابرات فقد أمر بكتابته بخط ثانوى . وأخفاه تحت اسم «**العلم السرى**» ، مفضلا أن يذكره التاريخ بمنجزاته العمرانية والحربية والإدارية ، وما أداه من أجل رفاهية شعبه ، دون الإشارة إلى براعته فى وضع أسس الجاسوسية .

* الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ـ أحمد هاني .

مخابرات اليهود

فى حوالى عام (١٤٨٠ق.م) بعث النبى موسى ـ عليه السلام ـ باثنى عشر رجلا إسرائيلياً ليتجسسوا على أرض كنعان * ، وأمرهم أن يتجهوا نحو الجنوب ، ويقصدوا الجبال ، ويرقبوا الأرض . وعاد رجال موسى إليه بعد ٤٠ يوماً يحملون أنواعا من محصولات البلاد، وقالوا : إن كل رجالها عمالقة جبارون ، وإنها بلاد غنية بالألبان والعسل ، وقدموا للنبى موسى أنواعاً من الفاكهة التى جلبوها .

ولما قاد «**يوشع بن نون**» بنى إسرائيل عبر الأردن إلى أرض «**كنعان**» ، استفاد من تجاربه مع موسى ـ عليه السلام ـ وأرسل رجلين ليتجسسا على «**أريحا**» ، ويعرفا مدى قوة رجالها وحصونها تمهيدا لغزوها . استعان الجاسوسان بامرأة تدعى «**رحاب**» فى جمع المعلومات والخروج من المدينة دون أن يكشفهما رجال الملك . وسجلت بذلك أول اشتراك فى التاريخ لامرأة فى أعمال الجاسوسية . وليست مصادفة أن تجمع الجاسوسية أمثال رحاب ، وماتا هارى ، وحكمت فهمى.

* قصة موسي في العهد القديم .

صـن تـزو

يعتبر «**صن تزو**» رائد الجاسوسية الصينية ، ولا يعنى ذلك أن الصين لم تعرف الجاسوسية قبل عام (٥١٠ق.م) ، فعمر الجاسوسية فى الصين حوالى ٢٥٠٠ سنة، لكن الفضل يرجع «لصن تزو» فى تكوين أول شبكة مخابرات كاملة عاملة فى الصين . ألف كتابا عنوانه : «**أصول الحرب**» ، وهو أقدم كتاب عرف عن فن الحرب عموماً ، وما يزال مطلوبا للقراءة فى أكاديميات عسكرية كثيرة . استفاد منه «**ماوتسى تونج**» فى زحفه الطويل ، وطبقه اليابانيون قبل مهاجمة «**بيرل هاربور**» ، وهو كتاب شامل مفيد حتى أن قيادة الطيران الملكى البريطانى وزعته بعد تبسيطه على ضباطها فى «سيلان» أثناء الحرب العالمية الثانية . كرس الكتاب جهداً كبيراً لإيضاح أهمية الجواسيس . وطالب بتقسيمهم إلى خمسة أقسام :

* **جواسيس محليون** : مواطنون محليون يتقاضون مكافآت على المعلومات .
* **جاسوس داخلى** : خائن فى صفوف العدو .
* **جاسوس محوّل** : عميل أمكن إقناعه بتغيير .
* **جاسوس هالك** : عميل اعتاد تزويد العدو بمعلومات زائفة ، من المحتمل قتله فيما بعد .
* **جاسوس باق** : مدرب ، يعتمد عليه فى العودة من مهمته بأمان .

ولد «**صن تزو**» فى ولاية على مصب النهر «**الأصفر**» لكنه أمضى معظم حياته فى خدمة «**هو ـ لو**» ملك ولاية «**وو**» المجاورة . قاد «**صن تزو**» جيش «**هو ـ لو**» واحتل مدينة «**ينج**» عاصمة ولاية «**تشو**» غربا ، وزحف نحو الشمال مكتسحاً جيوش مقاطعتى «**تشى**» و «**تشين**» .

يعتقد «**صن تزو**» بأن شن حرب بطريقة اقتصادية ، مع الدفاع عن البلاد ضد الآخرين ، يتطلب ضرورة استخدام نظام تجسس دائم ، يرصد أنشطة الأعداء والجيران على السواء ، وأكد أهمية التقسيم المذكور ، وضرورة اعتبار الجاسوسية

عملاً شريفاً ، وملاحظة استمرار تقريب العملاء من زعمائهم السياسيين والقادة العسكريين .

أوصى «**صن تزو**» فى كتابه بحسن معاملة العملاء المحولين ، ومنحهم المسكن المريح ، والعطاء الجزيل بين الحين والآخر ، لأن هذا أدعى إلى تثبيت ولائهم ، بل وإغرائهم بمحاولة استمالة زملائهم ورؤسائهم السابقين ، خاصة الذين يستجيبون منهم للرشوة بسهولة .

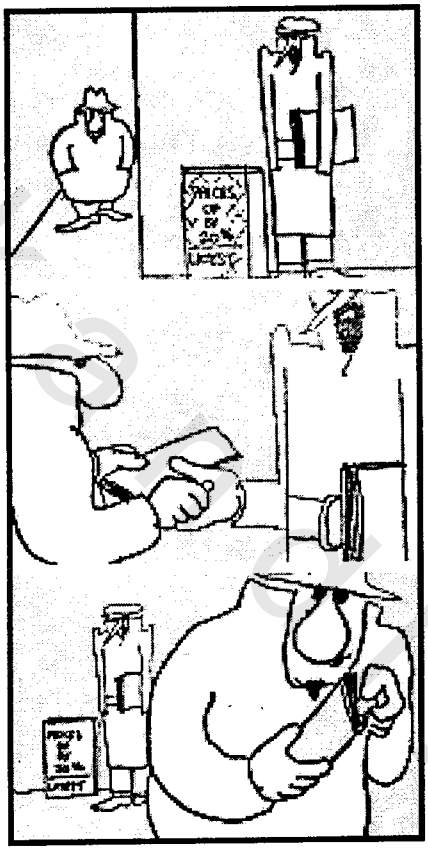

obeikandl.com

الإسكندر الأكبر يخترع شفرة

كيف للإسكندر المقدونى الأكبر ، وهو شاب فى العشرين من عمره ، أن يزحف من موطنه الصغير «**مقدونيا**» شمال اليونان ، ويمد إمبراطوريته خلال عشر سنوات ، عبر آسيا الصغرى والشام إلى مصر ، ثم إلى بلاد ما بين النهرين ، وفارس، حتى الهند؟ يؤكد المؤرخون أن الإسكندر لم يحرز الانتصار تلو الانتصار بحنكته وجرأته وجنده وسلاحه التقليدى فحسب ، وإنما لأنه ـ فوق كل ذلك ـ كان واحداً من القادة العظام الأوائل ، الذين أدركوا فائدة الجاسوسية كسلاح حربى ، ووسيلة لحماية الجبهة الداخلية ومقاومة الجاسوسية المضادة .

الإسكندر الأكبر

كان الإسكندر لا يغزو بلداً إلا بعد جمع أكبر قدر من المعلومات عنه ، عن طريق فرق الاستطلاع ، وقوافل التجار . وعلى ضوء هذه المعلومات يرسم خططه بمهارة . فيحقق النصر السريع الحاسم بأقل خسائر . كان يشرف على عمليات الاستخبار بنفسه . وبلغ اهتمامه بها أنه اخترع طريقة لتبادل الرسائل السرية ، تتلخص فى كتابة عبارات الرسالة بنظام معين على شريط من ورق البردى أو الرق، تبعا لشفرة خاصة ، ولف الشريط على قضيب أسطوانى من الخشب .

وفى مجال مقاومة الجاسوسية كان الإسكندر أول من استخدم نظام «**الرقابة على البريد**» ، خطرت له الفكرة أثناء محاصرته مدينة فارسية عام (٣٣٤ق.م)

فخشى أن تقع رسائل جنوده إلى ذويهم فى أيدى العدو وفيها كتبوا بعض المعلومات التى إذا وقعت فى يد العدو سببت للجيش المقدونى ضررا . لذا أصدر أمراً بمنع الجنود من الكتابة إلى أهاليهم . لكنه اكتشف أن جنوده استاؤوا من هذا الخطر ، شك الإسكندر فى دوافع هذا الاستياء ، وأراد أن يعرف ما إذا كانت هناك مؤامرة تدبر فى الخفاء ، ألغى الحظر ، وأمر بعرض كل الرسائل عليه ، فصارت تجمع فيما يشبه نظام «**الفرقة السوداء**» ، حيث تخضع لرقابة صارمة قبل أن يطلق سراحها إلى مقدونيا . وكان هذا أول نظام رقابة على البريد فى العالم . ولما اطمأن إلى عدم وجود مؤامرات بين صفوف جنوده . وتأكد من أنهم حرصوا على عدم ذكر ما يشير إلى أحوال ومواقف الجيش وخططه ، تخلى عن عملية الرقابة ، بعد أن أصبحت مثاراً لشكوى جنوده .

شفرة الإسكندر الأكبر

obeikan.com

هانيبال القرطاجى

كان «**هانيبال**» قائدا عبقرياً ولوعاً بمفاجأة أعدائه وإشاعة الفزع فى صفوفهم ، معتمداً فى حروبه على التجسس . قاد حملة عبرت مضيق جبل طارق وانتصر على الأسبان عام (٢٢٠ق.م) . واتجه شمالا إلى جنوب فرنسا ، وتسلق جبال الألب من الشمال إلى الجنوب رغم قسوة البرد القارس الذى فتك بكثير من الجنود والفيلة التى كان يستخدمها فى حروبه وهبط إلى سهول إيطاليا ، محطما كل جيوش الرومان التى تصدت له . ويقدر ضحايا هذه الحرب من أعدائه بثمانين ألف جندى من المشاة والفرسان .

تمثال نصفى لهانيبال

أثناء غزو «**هانيبال**» لجزيرة «**صقلية**» ، تعذر عليه الاستيلاء على إحدى المدن رغم الحصار الطويل . أراد أن يعرف سر قوة المدينة ومنعتها . فأرسل أحد رجاله فدخل المدينة وادعى أنه جندى مرتزق ، وعرض خدماته على حاكم صقلية وأقام فى المدينة يتجول فيها ، ويدرس تحصيناتها وخطط الدفاع عنها ، ويرسل الإشارات إلى «**هانيبال**» ، عن طريق الدخان المتصاعد من نار يوقدها لطهو طعامه فوق تل المدينة، دون أن يفطن إليه أحد .

وفى تقدمه نحو روما ، كان يمهد طريق النصر لجيشه ، بجيش آخر من الجواسيس ، يجمعون له المعلومات من وادى نهر «**ألبو**» ، وسهول الألب السفلى ، عن القوات ، ومعنويات الناس والجيش ، وخصوبة الأرض ، وأنواع المحاصيل ، ثم يضع خططه الحربية على ضوء ما يتوافر له من معلومات .

قاهر الفيلة

سيبيو أفريكانوس

اكتسب «**سيبيو**» شهرته من كونه القائد الوحيد الذى انتصر على «هانيبال» ، وفى عقر داره . ولذلك كرموه بلقب «**أفريكانوس**» ، وهو مدين بهذا الانتصار إلى جواسيسه . كانت مشكلته فى مواجهة جيش «**هانيبال**» تنحصر فى الفيلة التى يستخدمها كسلاح مدرع كاسح . ولكى يتغلب «**سيبيو**» على مشكلة الفيلة ، أرسل جواسيسه إلى معسكر «**هانيبال**» حيث اختلطوا بسياس الفيلة ، وعلموا منهم أن نقطة ضعف الفيل تكمن فى شدة انزعاجه وفزعه إذا سمع أصواتا مدوية . فلما التقى الجيشان، أحدث جيش «سيبيو» ضجة هائلة بالطبول ، فساد الذعر والارتباك بين الفيلة، وفقد جنود هانيبال السيطرة عليها ، وانتصر «**سيبيو عام ٢٠٣ ق.م**» .

وفى حملته ضد «**سايفاكس**» ملك «**نوميديا**» حليف هانيبال ، أرسل أخاه «**لاليوس**» ، مبعوثا ظاهره التفاوض على الهدنة ، وباطنه التعرف على إمكانيات العدو ، وأرسل معه ضباطاً متخفين فى ثياب عبيد حتى لا يشك فيهم «**سايفاكس**» لكنه تفنن فى إبعاد «**لاليوس**» ورفاقه عن تحصينات معسكره ، فأوعز «**لاليوس**» إلى رجاله بوخز الخيل كما لو كانت حشرة لدغتها . ولما صهلت خائفة راح رفاق لاليوس يطاردونها بطريقة طافوا معها فى أرجاء المعسكر ، وتعرفوا على نقاط الضعف والقوة . وفشلت مفاوضات الهدنة ، فهاجم «**سيبيو**» المدينة وأشعل فى تحصيناتها النيران ، وأرغم «سايفاكس» على الصلح .

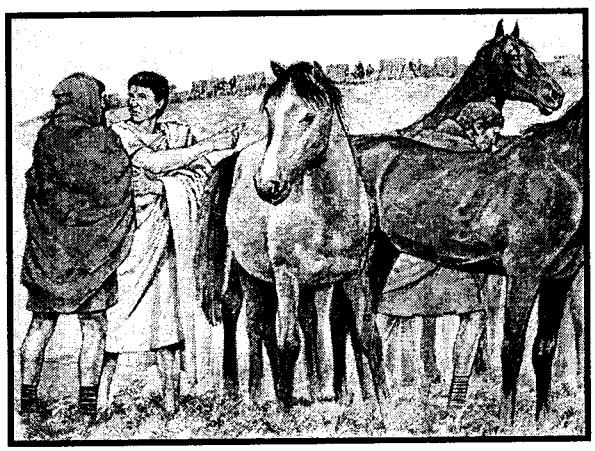

الضابط فى زى عبيد يطاردون الخيل

يهوذا الإسخريوطى

أشهر الخونة

استتر عيسى ـ عليه السلام ـ وحواريوه فى البستان ليمضوا فيه الليل ـ وفجأة شق السكون صوت أقدام وقعقة أسلحة . وظهرت مجموعة من الرجال شاهرين سيوفهم . وقفوا على بعد خطوات . وتقدم «**يهوذا الأسخريوطى**» من السيد المسيح. عانقه ، وقبله قبلة الرياء المسمومة، التى كانت إشارة متفقاً عليها بين يهوذا والجند ، للإرشاد إلى شخص المسيح .. ترى ما الذى دفع «**يهوذا**» إلى ارتكاب أبشع خيانة فى التاريخ؟ ...

كرس عيسى عليه السلام كل جهده لدعوة الناس إلى الفضيلة ، والسعى إلى رد اليهود عن ضلالهم ، وإلى اتباع شريعة موسى السمحة التى حرفوها ، ونهيهم عن تركيز الاهتمام فى جمع المال . وكانوا قد حضوا الفقراء والمحاجين على تقديم ما يملكون من نذر يسير إلى صندوق الهيكل ، ليتدفق الذهب إلى خزائنهم . وكان من اليهود طائفة أنكرت القيامة ، واستبعدوا الحساب ، وكذبوا الثواب والعقاب . ومنهم طائفة أخرى انغمست فى الملذات والشهوات .

لم يترك عيسى سبيلا لهدايتهم إلا سلكه ، لينتشلهم من وهدة الضلال وشعر كهنة اليهود بخطر انفضاح أسرارهم وزوال دولتهم ، فثارت ثائرتهم ، وألبوا عليه ولاة الروم ، وصوروه لرجال السياسة مؤلبا للجموع ، مثيرا للفتن ، منافسا للحكام . وتحالف الكهنة والساسة ضده .. وشوا بالمسيح عند «**بلاطس النبطى**» الحاكم الرومانى . رموه بالسحر ، واستطاع «كيافاس» كبير الكهنة اليهود إقناع الحاكم بأن انتشار دعوة عيسى سوف يؤدى إلى زوال حكمه وتقويض سلطانه . ونعتوه بأنه كافر بدينهم . وأجمعوا على التخلص منه .

بثوا من حوله العيون لرصد تحركاته والإيقاع به ثم قتله . وبذلوا الوعود بالأموال والأمانى لمن يأتيهم به أو يدلهم عليه . كانوا يريدون الانقضاض عليه وقتله خفية بعيداً عن الناس ، حتى لا يثير قتله ثورة . ومما يؤسف له أن يستجيب لغوايتهم «**يهوذا الإسخريوطى**» ، أحد حواريه الاثنى عشر ... دلهم عليه وتقدم الجند نحوه ليقبضوا عليه لكن قدرة الله تجلت فأنجاه من كيد الكائدين . أخفاه سبحانه وتعالى

عن أعين الناظرين ، وأوقع أبصارهم على رجل شديد الشبه بالمسيح .. انقضوا على الرجل الشبيه بوحشية ، فانعقد لسانه من الخوف والفزع . وصلبوه فوق جبل الزيتون . ولم يكن ذلك الرجل المجهول سوى يهوذا ، الجاسوس الخائن ، رد الله كيده إلى نحره .

ما الذى دفع «يهوذا» إلى ارتكاب هذه الخيانة التاريخية؟ يعتقد البعض أنه تجسس ووشى بمعلمه من أجل المكافأة المرصودة رغم تفاهتها ، ومقدارها ثلاثون قطعة فضية . ويرى البعض الآخر أن إرادة الله جعلت من «يهوذا» عبرة لعل الناس به يتعظون ويحذرون .

obeikandl.com